جريدة الإقدام، لسان حال الحركة الخالدية.

أة. فتيحة صافر *

تحت إشراف أ.د إبراهيم مهديد *

مقدمـة: ظلت الصحافة في الجزائر إلى أواخر القرن التاسع عشر حكرا على الإدارة والكولون الأوروبيين، فعلى الصعيد الرسمي كانت هناك صحف حكومية مثل جريدة "الأخبار " وجريدة "المبشر" التي استطاع من خلالها بعض المثقفين الجزائريين التعرف على صناعة الصحف وفن الكتابة الصحفية، ومن خلالها ظهرت أول الأقلام الجزائرية في ميدان كتابة المقالة، بالإضافة إلى عدد لا يحصى من الجرائد الكولونيالية التي كرّست وجودها لخدمة هذه الأقلية المهيمنة في الجزائر والدفاع عن مصالحها وتمجيد الاستعمار، حتى أصبحت كل مدينة تختص بعدد من العناوين، وبعد أكثر من خمسين سنة استطاعت النخبة الجزائرية أن تفك احتكار الإدارة والمعمرين الأوروبيين للصحافة، وتمكنت مدن عنابة وقسنطينة والجزائر ووهران من أن تصبح مراكز لنشاط صحفي جزائري امتد بعد ذلك إلى الكثير من المدن الجزائرية الأخرى بما فيها مدن الجنوب، وسمح هذا النشاط بظهور عناوين صحفية مختلفة ومتنوعة تعالج قضايا الجزائريين وتعبر عن أرائهم وتدافع عن حقوقهم، ولم يكن ذلك الأمر بالهين؛ فقد كانت الإدارة الفرنسية والمعمرين الأوروبيين يقفون لهذه الجرائد بالمرصاد، لذلك لم تكن تعمر طويلا، ولكن إصرار الجزائريين على تجاوز كل العراقيل والصعاب القانونية والمادية جعلهم يكررون المحاولات الواحدة تلو الأخرى من أجل استغلال هذه الوسيلة الجديدة عليهم بأحسن صورة ممكنة لتجاوز الكولون وإسماع صوتهم بالجهة الأخرى من البحر، كما تحولت هذه الجرائد إلى وسيلة لنشر الوعي بين الناس وإعلامهم بما يجري من حولهم.

أسوة بمن سبقهم في مجال العمل الصحفي أسس الشبان الجزائريون مجموعة من العناوين الصحفية باللغتين العربية والفرنسية، عبرت عن توجهاتهم، وعكست أفكارهم وقناعاتهم السياسية

*أستاذة مساعدة أ في التاريخ الحديث والمعاصر– قسم التاريخ وعلم الآثار– كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، وعضو في مختبر تاريخ الجزائر– جامعة وهران 1 أحمد بن بلة.

*أستاذ في التاريخ الحديث والمعاصر– قسم التاريخ وعلم الآثار– قسم العلوم الإنسانية– جامعة وهران 1 أحمد بن بلة.

والاجتماعية، وكانت الناطق باسمهم والمترجم لأفكارهم، وعلى صفحاتها تمكنوا من تحويل الشكاوى والعرائض إلى مقالات صحفية ناقدة للسياسة الفرنسية وموظفيها، وكان للقضايا المنشورة في هذه الصحف دور هام في بلورة الرأي العام الجزائري الذي تحول من فكرة القائد الديني الذي كانت له كل الصلاحيات إلى القائد السياسي الذي يقود الجماهير الشعبية إلى مزيد من الوعي بقضاياه العادلة دون خوف أو تردد[1]، ونشر الوعي بين عامة الناس وبخاصة بالمدن؛ حيث كانت الجرائد الجزائرية وغيرها تقرأ على غير المتعلمين في المقاهي، وكانت مواضيعها محل نقاش بين المثقفين في النوادي والجمعيات الثقافية.

عكس الأمير خالد الذي دخل الحياة السياسية بالجزائر بعد مسيرة طويلة بالجندية في الجيش الفرنسي، بكل صدق صورة القائد السياسي الجزائري المسلم الذي حافظ على هويته العربية الإسلامية، وتمسك بالأهداف التي كان يسعى إليها دون تردد، رغم صلاته وعلاقاته بالأوربيين واحتكاكه بقادة الرأي في الجزائر أو فرنسا؛ ولذلك التفت حوله الجماهير المتعطشة إلى من يقودها إلى تحقيق تطلعاتها ويعبر عن طموحاتها؛ فكانت أحاديثه وتصريحاته وبرامجه الانتخابية تعكس هذه الآمال، وشجاعته في التعبير عن أرائه تذكر بتاريخ جده الأمير عبد القادر. وكما كتب عنه مصالي الحاج وهو يصف أول مرة رأى فيها الأمير خالد عندما زار مدينة تلمسان عام 1922م كانت هيئته تعكس "عظمته ومقام شخصية قائد عربي رفيع المقام، يكفي أن سماعه كان يعطينا الثقة في المستقبل".

كان الأمير خالد من الأوائل الذين أيدوا فكرة تأسيس صحافة جزائرية حرة؛ فكتب في هذا الشأن مقالات يدعو فيها لصالح صحافة حرة تدافع عن مصالح الجزائريين وتنقل عنهم معاناتهم وتساهم في توعيتهم، وكان حلمه أن تصبح لديه جريدة يومية بإدارة وأقلام جزائرية. وعن أهمية الصحافة ودورها كتب يقول: "الصحافة إذا كانت محايدة وصادقة، كانت الصديق الوفي، تكمل تعليمه وتربيته وتحيطه علما بكل المواضيع الاقتصادية والتجارية والزراعية. إنها تدافع عنه وتسجل تظلماته ومطالبه كما أنها تنفعه من خلال ما تنشره من إعلانات."وظل هذا الحلم يراود الأمير خالد حتى بعد تجربته القصيرة بجريدة "الإقدام". ومن منفاه بالإسكندرية بعث برسالة في 10 مارس 1925 إلى صديقه فيكتور سبيلمان[2] يدعوه إلى الإشراف والإعداد لتأسيس جريدة جديدة، وأرفق الرسالة بقائمة أسماء الأشخاص الذين ينوي التعاون معهم من أجل وضع هذا المشروع قيد التنفيذ،

لكن فيكور سبيلمان وبعد عشر سنوات من المحاولات أعلن عن فشله في تحقيق حلم الأمير لأنه لم يجد من يؤمن معه بهذا المشروع[3]، وتبدّد الحلم نهائيا بعد وفاة الأمير عام 1936م.

ورغم إيمانه بأهمية الصحافة ودورها، فقد اعتمد الأمير خالد في بداية نشاطه السياسي على العمل الميداني والاتصال المباشر بغيره من النخب الجزائرية والجماهير الشعبية، لذلك عندما أعلنت جريدة "الإسلام"[4] في نوفمبر 1913م انضمام الأمير إلى الشبان الجزائريين، ظلت تتبع أخباره ولقاءاته بباريس والجزائر التي أعلن من خلالها تبنيه لبرنامج الشبان الجزائريين، وبتاريخ 23 أفريل 1914م أعادت نشر حوار له بجريدة فرنسية "la République du Var " أكد فيه أنه سيعتزل العمل العسكري ما دامت الإدارة الفرنسية لم تلب مطالب الشبان الجزائريين في الحصول على حقوقهم السياسية مقابل قبولهم لقانون التجنيد الإجباري، ورحبت جريدة "الإسلام" بانضمام الأمير للشبان الجزائريين بما يحمله من إرث تاريخي مجيد وما يمثله شخصه من رجل جزائري متمسك بهويته العربية الإسلامية المنفتحة على المستقبل، يتطلع إلى مستقبل حضاري يرتقي فيه الشعب الجزائري إلى أسباب الحضارة الأوروبية دون تخليه عن مقوماته وهويته العربية الإسلامية[5]؛ فكان شعاره "فرنسا– الإسلام".

بدأت علاقة الأمير المباشرة بالعمل الصحفي بعد استقالته من الجيش وانضمامه إلى حركة الشبان الجزائريين التي أنشأ بعض أعضائها جريدة "الإقدام"، وهي التسمية التي أطلقها كل من صادق دندن صاحب جريدة الإسلام سابقا والحاج معمر صاحب جريدة الراشدي[6] سابقا على جريدتهما الجديدة، ويبدو أن اسم "الإقدام" كان أسوة بجريدة "الإقدام" التركية لتي كانت تصدر بمدينة اسطنبول، ولما لهذا الاسم من دلالات معنوية تدعو إلى التطلع إلى المستقبل بكل شجاعة وثبات.

مرت جريدة الإقدام منذ ظهورها أول مرة بثلاثة مراحل، وفي كل مرة كانت تختفي لمدة قصيرة ثم تعود للظهور بفكر وشعار جديدين، كما تناسبت كل مرحلة من هذه المراحل مع التطورات التي عرفتها حركة الشبان الجزائريين عبر نشاطهم السياسي ومواقفهم من مختلف القضايا المطروحة على الساحة السياسية في تلك الفترة، كما كانت واجهة للخلافات التي برزت بين تيارات حركة الشبان الجزائريين.

بدأت المرحلة الأولى بتاريخ 7 مارس 1919 إلى غاية 18 ديسمبر 1919م تاريخ أول توقف للجريدة نتيجة الخلافات التي ظهرت بين أعضائها إثر الإعلان عن نتائج الانتخابات المحلية في نوفمبر 1919م، وخلال هذه الفترة أشرف على إدارتها كل من صادق دندن صاحب جريدة الإسلام سابقا، والحاج معمر صاحب جريدة الراشدي سابقا؛ فجاء عنوانها بالشكل التالي: "الإقدام" وفي أسفل العنوان نجد اسمي "الإسلام، الراشدي" باللغة الفرنسية.

كان شعارها: "الدفاع عن الحقوق السياسية والاقتصادية لمسلمي إفريقيا الشمالية"، وهنا نلحظ البعد المغاربي لنضال حركة الشبان الجزائريين بحيث لم تفصل في نشاطها النضالي بين الجزائريين وغيرهم من شعوب شمال إفريقيا، وتولى خلال هذه المرحلة مجموعة من المثقفين الجزائريين والفرنسيين من أصحاب التوجه الليبرالي نشر مقالاتهم التي تذكر بالوعود التي أعطتها فرنسا قبل وبعد الحرب لتحسين أوضاع الجزائريين وبخاصة منها السياسية، بإلغاء القوانين الاستثنائية وتوسيع القاعدة الانتخابية للقسم الأهلي، وبخاصة أمام إصرار الكولون على رفض إصلاحات 1919م؛ مذكرين في كل مرة بضريبة الدم وبحجم التضحيات التي قدمها المسلمون الجزائريون من أجل حرية "الوطن الأم". والدعوة إلى تقارب جزائري فرنسي، وفي هذا السياق حدد العدد الأول من الجريدة المؤرخ في 7 مارس 1919 الأهداف التي من أجلها تأسست الجريدة والتي تسعى لتحقيقها وهي:

أولا– الهدف السياسي: وهو تمتع الجزائريين بالحقوق السياسية كمواطنين فرنسيين دون تخليهم عن مقوماتهم الدينية وإلغاء قانون الأهالي، وهي حقوق تتناسب والتضحيات التي قدموها من أجل الأمة الفرنسية، والعمل مع نظرائهم الفرنسيين من أجل تطوير "الوطن الأم" داخل المجالس المنتخبة، وتحدثت "الإقدام" عن "مكانة مشرفة" مقابل تضحيات الجزائريين من أجل الأمة الفرنسية.

ثانيا– الهدف الاجتماعي: وهو تحسين الأوضاع المادية والمعنوية للجزائريين من خلال خلق المزيد من المدارس للأطفال الجزائريين إناثا وذكور، وتأسيس شركات تعاونية تجارية وزراعية وبنكية. والدفاع عن مصالح العمال والقدرة الشرائية للجزائريين.

عَكَس هذا البرنامج التوافق بين مختلف التوجهات السياسية التي كانت لها أدوار سياسية قبل 1914م، من خلال الالتفاف حول الأهداف التي وضعها الشبان لنشاطهم بعد الحرب العالمية، والتي ركزت على مشاركة الجزائريين في مختلف المجالس المحلية من أجل تسيير شؤونهم، والدفاع عن أهلهم أمام تعسف الإدارة الفرنسية وموظفيها، واقتراح المشاريع التنموية التي تحسن أوضاعهم.

شغل نشاط لجنة العمل الفرنسي الإسلامي حيزا هاما من أعمدة جريدة الإقدام التي نشرت خلال عدة أعداد وفي الصفحة الأولى تاريخ هذه اللجنة التي ترأسها السيناتور ورئيس بلدية مدينة ليون هيريو، وقد جعلت من الدفاع عن مصالح الشعب الجزائري وتحسين أوضاعه المعنوية الثقافية والاقتصادية، والإدارية والسياسية هدفا رئيسيا لها عبر تكاثف جهود هؤلاء الفرنسيين المتعاطفين مع القضية الجزائرية بباريس ومجموعة هامة من الشخصيات الجزائرية أمثال الأستاذ صوالح والدكتور تمزالي وابن التهامي وبوضربة وكل من الحاج معمر والصادق دندن مديري الجريدة.

تأسس فرع لهذه اللجنة بالجزائر العاصمة تبعتها فروع أخرى عبر كل المدن الجزائرية الكبرى، وأخذ فرع الجزائر العاصمة تسمية Ligue d'union franco-musulmane رابطة الإتحاد الفرنسي الإسلامي التي قسمت إلى خمسة لجان ترأس الأمير خالد اللجنة الاجتماعية منها أما الأستاذ صوالح فقد تولي لجنة التعليم، بينما تولى الدكتور بن التهامي اللجنة السياسية، والمهندس قايد حمود الأمانة العامة[7]، ونشر العدد الثاني من جريدة الإقدام برامج الرابطة الذي تمثل في توسيع ونشر تعليم اللغة الفرنسية، وإصلاح المدارس القرآنية، وربط الولايات الجزائرية الثلاثة بفرنسا، وتمثيل الجزائريين في البرلمان ومجلس الشيوخ، وخلال هذه المرحلة لا نجد أي مشاركة للأمير خالد بالجريدة سواء من خلال العمل الإداري أو الصحفي.

اضطرّت جريدة الإقدام إلى التوقف بعد الانقسام الذي تغلغل داخل حركة الشبان الجزائريين؛ فالدكتور ابن التهامي وأخوه الدكتور حفيظ والتاجر عمر بوضربة والأستاذ المجاز باللغة العربية محمد صوالح، بالإضافة إلى الدكتور عبد النور تمزالي ومدير جريدة الإقدام صادق دندن وكلهم من المتجنسين تبنوا موقف والي الجزائر، وهو أن تعطى الجنسية الفرنسية للجزائريين بعد تخليهم عن مقوماتهم الشخصية، وذلك على أمل أن يكونوا متساوين مع الأوروبيين؛ فيصبح عدد المتجنسين الجزائريين كبيرا، وبالتالي تصبح لهم الأغلبية في مختلف المصالح والمؤسسات الإدارية والمنتخبة، في حين نجد الأمير خالد والنائب حاج موسى والمهندس الزراعي قايد حمود والتاجر حمدان بن رضوان وحاج عمار المدير الثاني لجريدة الإقدام بالإضافة إلى شخصيات أخرى من خارج العاصمة وعلى رأسهم محمد بن رحال يطالبون بالحصول على الجنسية الفرنسية لكن دون التخلي عن مقوماتهم الشخصية الإسلامية[8]. وأوجز الأمير في هذا الشأن برنامجه في منح الجزائريين حق المواطنة الفرنسية في نطاق قانون الأحوال الشخصية الإسلامية، وتمثيلهم في البرلمان الفرنسي وربط الولايات الجزائرية

الثلاث بالوطن (الميتروبول) بدون قيد أو شرط، وإلغاء البلديات المختلطة ذات الحكم العسكري، وإحداث جامعة عربية، والتعليم الإجباري بالفرنسية والعربية[9].

عادت جريدة "الإقدام" للظهور مرة ثانية بتاريخ 5 مارس 1920م بعد انسحاب صادق دندن من على إدارتها وظل حاج عمار يشرف لوحده عليها إلى غاية 20 جوان 1921م، تاريخ انضمام قايد حمود إليه بالإضافة إلى الأمير خالد الذي تولى إدارة القسم العربي بالجريدة. وفي هذه المرحلة لا نلحظ نشاطا صحفيا بارزا للأمير خالد، ويبدو حسب المؤرخ زهير إحدادن أن انشغال الأمير خالد بالعمل السياسي والاجتماعات المتكررة في إطار الحملات الانتخابية شغلت الأمير عن الكتابة والمشاركة بصفة واضحة وحقيقية بالجريدة، ومن جهة أخرى كان الأمير يثق في زملائه أحمد بهلول وقايد حمود الأمر الذي جعله يترك لهما إدارة الإقدام[10] مع العلم أن الأمير خالد كان في هذه الفترة محل هجومات متكررة تارة لشخصه وتارة لمواقفه من قبل خصومه ومن الإدارة الفرنسية؛ فالدكتور ابن التهامي كيَّف فوز الأمير خالد عليه في الإنتخابات المحلية التي جرت في نوفمبر 1919م بالمؤامرة ضد السلطة الفرنسية، ولم يتوانى في السفر إلى باريس والتدخل لدى الإدارة الفرنسية هناك متهما الأمير خالد بالتعصب الديني والعداء لفرنسا، كما أسس جريدة المستقبل الجزائري "l'Avenir Algérien" (29 أفريل 1920م) لمهاجمته ومهاجمة جريدة الإقدام[11]؛ وكانت مقالات الجريدة عبارة عن سلسلة من الاتهامات لشخص الأمير، تتعقب نشاطه ومقالاته بالانتقاد، ولم تتردد في التشهير بالأمير وعائلته فتارة تصفه بالشخص المدعي الذي أخذ لقب "الأمير" وهو ليس بذلك بما أنه لا يوجد خليفة في الجمهورية الفرنسية، وبالتالي ليس من حقه أخذ هذا اللقب[12]، وتارة أخرى تصفه بالشخص المتعصب الذي يريد العودة بالمجتمع الجزائري إلى ظلمات العهود الماضية، ويسعى لطرد الفرنسيين من الجزائر، لكن التقارب الذي حدث بين الأمير خالد والدكتور ابن التهامي بفضل تدخل النائب محمد بن رحال أدى إلى تزعم الأستاذ صوالح تيار المعادين للأمير، حيث أسس جريدة "مستقبل الجزائر" (l'Avenir de l'Algérie) كرد فعل على توقف جريدة "المستقبل الجزائري"، وصرّح في العدد الأول منها (7 يناير 1921) أن "ما قام به الدكتور ابن التهامي تصرف شخصي لا يعبر عن موقف جميع أصدقائه الذين وجدوا أنفسهم أمام الأمر الواقع، وهم يحترمون حرية كل واحد منهم"، واصل الأستاذ صوالح نهجه في الدفاع عن السياسة الفرنسية الأهلية وعدائه للأمير خالد وصحبه، كما فتح صفحات جريدته لكل أعداء

الأمير وصحبه لتشويه صورته وتأليب الإدارة الفرنسية عليه[13]، كما لم تتوقف الجرائد الكولونيالية عن محاولات تشويه صورته ونعته بالعداء لفرنسا وللكولون.

في خضم هذه الحرب الإعلامية التي شنتها عليه جرائد الكولنيالية والجزائرية لم يهتم الأمير خالد بالرد عليها كثيرا؛ فلا نجد للأمير خالد خلال هذه المرحلة سوى أربعة مقالات شرح من خلالها وجهة نظره وموقفه من التجنس، وردّ على المؤيدين لسياسة فرنسا الاندماجية، واكتفى في هذه المرحلة بالإشراف على القسم العربي من الجريدة التي اكتسبت سمعة واسعة وسط المثقفين الجزائريين نتيجة جرأة المواضيع التي كانت تنشرها والقضايا التي كانت تعالجها، بينما تراجع القسم الفرنسي من الجريدة أمام المنافسة القوية التي كان يلقاها من قبل الجرائد الجزائرية الصادرة باللغة الفرنسية على غرار جريدة التقدّم والمستقبل الجزائري. غير أن الجريدة التي كانت تصدر بشكل منتظم اضطرت للتوقف بتاريخ 18 جوان 1921م[14]، وتذكر بعض المراجع أن ذلك كان لأسباب مادية، وهو الأمر الذي نجده منتشرا خلال هذه المرحلة عند الكثير من الجرائد الجزائرية؛ فالأسباب المالية وتضييق الإدارة الفرنسية التي كانت في كل مرة تدعو إلى توقف الجرائد الجزائرية ذات البعد الوطني.

وبتاريخ 2 ديسمبر 1921م ظهرت الجريدة من جديد تحت إشراف وإدارة الحاج عمار والقايد حمود، وكان يرأس تحرير قسمها باللغة الفرنسية أستاذ الفيزياء أحمد بهلول، أما قسمها العربي الذي أصبح يتكون من صفحتين فيشرف عليه الأمير خالد، وفي أكتوبر من نفس السنة أصبح الأمير خالد مديرها السياسي والمشرف العام عليها إلى غاية تاريخ توقفها سنة 1923م، وفي هذه المرحلة حملت شعار "الجريدة الديمقراطية للإتحاد الفرنسي الإسلامي" في إشارة إلى نهجها الذي يدعو إلى تشارك كل أبناء الجزائر من جزائريين وأوروبيين في تسيير وإدارة بلادهم دون أي تمييز أو فوارق عنصرية كانت أو غيرها؛ فجريدة "الإقدام" كما كتب الأمير خالد تدافع عن مصالح أي شخص وتتحدث باسم المسلمين الجزائريين وتدافع على الضعاف منهم"[15]، وفي هذه المرحلة اكتسبت الإقدام مكانة وشهرة واسعة بين الجماهير الجزائرية، وأصبحت أول ناطق باسم الشبان الجزائريين والمعبر عن توجهاتهم ومطالبهم.

جمعت الإقدام من خلال برنامجها الذي جاء في العدد الأول منها جميع التوجهات السياسية والاقتصادية التي عبرت عنها الكثير من جرائد النخبة الجزائرية قبل 1914، لذلك كانت مطالبها

الاقتصادية والاجتماعية انعكاسا للنهج الذي دافعت عنه جريدة الحق (الوهراني)[16] حيث عكفت على انتقاد سياسة الإدارة الفرنسية الاقتصادية والاجتماعية، ودعت إلى تحسين أوضاع الفلاحين الجزائريين، وتخفيف تسلط القياد ورجال الإدارة عليهم، وفضحت ممارسات هؤلاء في الاستحواذ على الأراضي والمساعدات التي كانت تقدم للفقراء والمحتاجين من الفلاحين.

وفي الجانب السياسي دعت إلى تمثيل نيابي فعال ومفيد لكل الجزائريين في المجالس المنتخبة المحلية؛ وتلك كانت المطالب التي عكفت كل من جريدة الإسلام والراشدي على المطالبة بها من خلال رفع عدد الناخبين الجزائريين وعدد النواب الجزائريين في مختلف المجالس المنتخبة حتى تتساوى نسبتهم داخل هذه المجالس مع عدد السكان الجزائريين.

خلال هذه المرحلة عرفت الجريدة نقلة نوعية في نشاطها ومواضيعها باللغتين العربية والفرنسية؛ فقد سعى الأمير خالد إلى تحويلها من جريدة أسبوعية إلى جريدة يومية ومضاعفة سحبها، لكن المصاعب المالية المستمرة حالت دون تحقيق هذا المبتغى[17]. ومن خلالها أكد ودعا إلى وحدة كل مكونات الأمة الجزائرية، واقفا بالمرصاد لكل محاولات فرنسا زرع بذور التفرقة بينهم. ويمكن قراءة ما يلي على صفحات الإقدام: "على القبائل والميزابيين والعرب أن يشكلوا حزبا واحدا وحيدا حيثما كانوا مجتمعين؛ فروح العصبية ليست من شيمنا لأن العقيدة نفسها تجمعنا[18].

تنوعت مواضيع الجريدة وأصبحت أكثر جرأة في تناولها لقضايا الجزائريين، وفي نفس السياق لم تهمل القضايا العربية من خلال نقل مواضيع عن صحف عربية مختلفة أو تناول مستجدات الساحة السياسية العربية، وبخاصة التطورات الحاصلة بمصر، وما يجري في العالم الإسلامي والعربي كموضوع الجامعة الإسلامية والثورة التركية وغيرها.

وصل عدد المقالات التي نشرها الأمير خلال هذه المرحلة ثلاثة واربعون (43) مقالا في مواضيع مختلفة اجتمعت حول محور واحد هو الدفاع عن مصالح الجزائريين والمطالبة بتحسين أوضاعهم أمام سياسة الإدارة الفرنسية وتعسفها، وكشف من خلالها أمر الاستعمار وإدارته وأساليبه، وفضح كيفيات الاستحواذ على الأراضي الخصبة، وذكر أن ثروات المعمرين الطائلة لم تأتهم من عمل المحراث وأدوات الفلاحة فقط بل كانت من عرق الفلاحين الجزائريين، كما انتقد الإدارة الفرنسية في تقصيرها وتهاونها وسياستها والنواب والموظفين بالبلديات[19]، ولم تتغاضى الجريدة عن فضح الممارسات الظالمة للقياد وتعسفهم في استعمال السلطة التي أعطتها لهم الإدارة

الفرنسية؛ فكانت تصفهم بالقروش الحمراء[20] الذين يسعون إلى الحصول على المزيد من المزايا وتحقيق المصالح على حساب الفلاحين المعدمين.

وبتاريخ 12 أوت 1921م بدأت حملة واسعة ضد استحواذ موظفي الإدارة الفرنسية الجزائريين من قياد وباشاغات الذي استغلوا حاجة الفلاحين واستولوا على أراضيهم وعلى أموال المساعدات التي كانت تقدمها المؤسسات المختصة لهم؛ فهاجمت عائلة سايح التي كانت تستغل الفلاحين[21]، وفضحت تصرفات القايد براهيمي لخضر الذي استحوذ على 5000 هكتار[22]، وإستيلاء الباش أغا نذير على أكثر من 4600 هكتار بمنطقة بوسعادة [23]، ولم يخشى اتهام محافظ مدينة الجزائر بتزوير الانتخابات لصالح زروق محي الدين[24] أحد الأعيان الموالين للإدارة الفرنسية، كما انتقدت مقالات الأمير الإدارة الفرنسية وسياستها الرامية إلى القضاء على الهوية الجزائرية الإسلامية مما عرض الجريدة للمتابعة القانونية ودفع غرامة مالية بلغت ألف فرنك فرنسي[25]، ورفض بشدة مراسيم التجنيس وطالب بحق المواطنة دون تخلي الجزائريين عن مقوماتهم الإسلامية، وأوضح أنه لأسباب دينية لا يمكن للمسلمين قبول التجنس، وأن فرنسا لن ترسم التجنس الجماعي مخافة رؤية الأوروبيين يطغى عليهم خمسة ملايين من الأهالي[26] كما لم يقبل الاندماج، مؤكدا أن الحل السهل يوجد في الشراكة، ولم يفتأ يذكر بأماني الجزائريين وهي:

– إلغاء كل القوانين الاستثنائية والعودة إلى القانون العام.

– تمثيل الجزائريين في البرلمان الفرنسي بغرفتيه.

– التعليم الإجباري باللغة العربية والفرنسية.

– إنشاء جامعة عربية.

– إلغاء البلديات المختلطة والمناطق العسكرية.

– إلحاق المقاطعات الجزائرية الثلاثة بفرنسا مباشرة ودون شرط.

– منح الجزائريين صفة المواطنين الفرنسيين في إطار القوانين الشخصية الإسلامية لفئة يتم تحديدها[27].

ودعا إلى إلغاء المحاكم الجزائية الخاصة بالجزائريين والسلطة المطلقة التي كان يتمتع بها الولاة والحكام مما عرّضه لانتقادات واسعة من المعمرين والإدارة الفرنسية ومن المتجنسين الجزائريين.

أصبحت جريدة الإقدام منبرا لحملات الأمير الانتخابية ودفاعه عن الإسلام والمسلمين وتاريخهم، ولا نجد فرقا بين مقالاته باللغة العربية أو الفرنسية؛ فقد كان يستعمل أسلوبا واضحا ليس فيه غموض أو لبس، أسلوب مهذب يفضح الممارسات دون قدح أو تطاول على الناس وحياتهم الشخصية، وهو الذي كانت الصحف الكولونيالية وبعض الصحف الجزائرية لا تتوانى في مهاجمته ومهاجمة عائلته.

تغير أسلوب الأمير في آخر مقالاته حيث أصبحت بعيدة عن العقلانية والحذر؛ فقد نشر مقالين بعنوان "الحقيقة" كانتا بمثابة الخطاب الموجه للشعب الجزائري يحذره من نوايا الإدارة الفرنسية، وكتب: "من الممكن أن تدوم هذه الأوضاع لكن ريح التغيير أحيت الأمل في أذهان الأهالي، وهذا النور سينتشر مهما كان الأمر"[28]؛ فقد أدرك الأمير خالد نتيجة تجربته واحتكاكه الدائم بالأوروبيين في الجزائر ومعرفته الطويلة بهم أن هذه الفئة من المعمرين كانت تعيش في خوف دائم من اليوم الذي ستضطر فيه لمغادرة الجزائر، وكأنّه استشفّ أسرار أنفسهم التي تعيش في القلق، واستقى من تاريخ الجزائر مآل كل محتل؛ فقد كتب في آخر مقالاته بجريدة الإقدام يقول: "...خوف الفرنسيين الدائم من ذلك اليوم الذي سيضطرون فيه إلى حمل حقائبهم ومغادرة الجزائر إلى أوطانهم، فمستقبلهم غامض ومجهول، والأفق أمامهم غائم والعاصفة توشك على الاقتراب...، إن خوفهم هذا حقيقي فليس هناك أصعب من أن يتركوا دون أمل العودة إلى بلد كانوا يعيشون فيه عيشة الأمراء والأسياد في ثراء واسع، بلا كد أو تعب تخدمهم أقوام وأمم من العبيد"[29].

استغل الأمير خالد كل الفرص والوسائل التي أتيحت له لخدمة القضية التي آمن بها ودافع عنها دون خوف أو تردد؛ فكسب احترام وحب الجماهير الجزائرية التي كانت تستقبله بالزغاريد والتصفيق أثناء زياراته للمدن والمحاضرات التي كان يلقيها أمامهم كما كان يؤم المصلين ويحثهم على الحفاظ على دينهم وهويتهم مع طلب أسباب الحضارة والرقي، لذلك رأت فيه الإدارة الاستعمارية خطرا لا بد من وضع العراقيل أمامه وانتهت بإبعاده من بلاده.

خابت آمال الأمير خالد في إمكانية إحداث تغيير ممكن بالجزائر، وانتهى بتاريخ 6 أفريل 1923 (العدد27) إلى نشر رسالة مقتضبة بجريدة الإقدام شرح فيها الأسباب التي جعلته يعتزل السياسة جاء فيها: "بما أنني منهك القوى بطول خدمتي في الجندية، وبما أنني غير صالح للجندية مع ضعف البنية التي حتمت علي أن أجنح إلى الاستراحة التامة ومن جهة أخرى اهتمامي المتزايد

بشؤون عائلتي؛ فإنني قد تخليت عن الأعمال السياسية، وتأخرت عن الوظائف النيابية بالمجلس المالي والعضوية بالمجلس العمومي والمجلس البلد".

بعد نفي الأمير خالد، توقفت جريدة الإقدام سنة 1923م، وبذلك اختفى منبر من المنابر التي دافعت عن الجزائريين ومصالحهم وحقوقهم وعلى هويتهم، وتفرق أصحابه بعدما فقدوا قائدهم.

عاد اسم "الإقدام" للظهور من جديد في محاولة لإعادة مجد هذه الجريدة التي كانت لسان حال الوطنيين الجزائريين والمخلصين من الأوروبيين، ولكن بفكر وتوجه مغاير حيث أصدر المحامي حدو عبد القادر بتاريخ 5 أفريل 1925 جريدة أطلق عليها اسم "الإقدام"، وكانت عبارة عن جريدة في حجم صغير وتحت عنوانها كتبت العبارة التالية "جريدة سياسية أدبية فنية للدفاع عن حقوق الأهالي والمسلمين الفرنسيين الجزائريين"، وفي افتتاحية الجريدة الجديدة أستعرض حدو أهدافها بإعادة طرح الخطوط العريضة لبرنامج الأمير خالد[30]، كما تصدرت الجريدة حملة واسعة من أجل عودة الأمير خالد، وفتحت صفحاتها للقراء لإبداء رأيهم حول حركة الأمير خالد وحول عزله وسفره إلى باريس[31]، لكن الجريدة توقفت بعد العدد الرابع المؤرخ في 6 أفريل 1925م، ولا تذكر المصادر الأسباب التي دعتها لذلك.

في 14 مارس 1931م صدرت جريدة أخرى تحمل اسم "الإقدام" في سلسلة جديدة وحجم كبير تحت إدارة صادق دندن والدكتور ابن جلول وكان شعارها من أجل الدفاع عن حقوق مسلمي شمال إفريقيا. صدر منها 70 عددا (26 يناير 1935)[32]، ومن خلالها نبه المنتخبون الجزائريون الإدارة عن مأساة الفلاحين الجزائريين؛ فقد تأثرت القبائل نتيجة الأزمة الاقتصادية بعدما توقفت حركة الصادرات وتكدست منتوجاتهم (التين– الزيوت). وتهاون الإدارة الفرنسية في منح الفلاحين الجزائريين القروض والمساعدات زاد من تفاقم الأزمة التي تسببت في بؤسهم[33]؛ فكانت هذه الجريدة إلى حدّ ما صوت المنتخبين الجزائريين الذي كانت نسبة تمثيلهم في المجالس المنتخبة لا تسمح لهم بتشكيل الأغلبية لتمرير مقترحاتهم ومشاريعهم الإصلاحية التي تخدم اهلهم.

أما بفرنسا أرض المغتربين الجزائريين فقد أصدر "نجم شمال إفريقيا أولى جرائده تحت اسم "الإقدام الباريسي" سنة 1926 لكنها أوقفت في 1 فيفري1927 لاحتوائها على صفحة باللغة العربية؛ فاستبدلت بصحيفة "إقدام شمال إفريقيا" التي لقيت نفس المصير وعطلت سنة 1928م[34].

رغم قصر عمر جريدة الإقدام ومصاعبها المالية استطاعت أن تكون المنبر الذي توجه من خلاله الشبان الجزائريون إلى السلطات الفرنسية بالانتقاد والجماهير الشعبية بالتثقيف والإعلام. كما كانت واحدة من الوسائل التي اتخذها الأمير خالد في نضاله ضد سياسة الإدارة الفرنسية في الجزائر، فنقلت وجهة نظره في مختلف القضايا المرتبطة بالمسألة الأهلية والحلول التي اقترحها لتحسين أوضاع الجزائريين، فكشفت عن رجل لا يقبل الصمت ولا الخضوع فكان تجليا للتيار الوطني الجزائري. كما ساهمت في زرع بذور الوعي بين الشباب الجزائريين كما كتب عنها المفكر الجزائري مالك بن نبي، حيث سجل في شهادته على القرن: "وضعت الإقدام في فكري الحدود السياسية الدقيقة، فكانت تكشف عمليات استغلال الفلاح الجزائري، وقد بلغت درجة لا توصف في تلك الفترة...، وتفضح رجعية الإدارة المستعمرة وسوء استغلالها للسلطة، فالأرقام التي كانت تنشرها عن مساحة الأراضي الممنوحة للمعمرين، وعن عدد الأولاد الجزائريين الذين لا يذهبون إلى المدارس تثيرنا وتوجهنا"[35].

الهوامش:

1– بختاوي خديجة . التحولات الإقتصادية والإجتماعية والسياسية في عمالة وهران ، 1870 –1939 . رسالة دكتواه جامعة وهران ،كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية ، قسم التاريخ ، 2012 –2013. ص 487---**2–فيكتور سيلمان** : (1866–1936) وفد إلى الجزائر من إقليم الألزاس وعمره 11 سنة مع أبيه الذي تحصل على قطعة أرض في إطار تعويض سكان الألزاس بعد تدهور غلالهم الزراعية بفرنسا نتيجة للمرض. عاش طفولته في مدينة برج بو عريريج، وفيها مارس مهنة الإسكافي وبائع وذاق مرارة الفقر وما يعيشه الجزائريون نتيجة سياسة المعمرين في الجزائر. بداية من 1914 عمل مراسلا لجريدة صرخة الجزائر (Le Cri d'Algérie) المعارضة لقانون التجنيد الإجباري الذي فرض على الجزائريين. كما انضم إلى الحزب الشيوعي الفرنسي وأصبح مسؤولا بفرع سيدي بلعباس. بعد تأسيس جريدة الإقدام انضم إلى فريق صحفييها واصبح مناصرا قويا للأمير خالد خاصة بعد نفيه حيث أسس جريدة خط الوصل (Trait-Union) بعد توقف الإقدام ودعا إلى تقارب فرنسي جزائري ليس فيه أي نوع من التفرقة أو العنصرية.

) Gilbert Meynier.l'Algerie révelée)

3-Ihaddaden Zohir.. Histoire de la presse indigène des origines jusqu'a 1930.Enal ; Alger p 314.

4–ارتبط تأسيس جريدة " الإسلام" ببداية نشاط الشبان الجزائريين.فقد أسس السيد عبد العزيز طبيبل جريدة " الإسلام " بمدينة عنابة في ديسمبر 1909 وابتداء من أكتوبر 1910 اشرف صادق دندن على إدارتها، وانتقل بها إلى العاصمة في جانفي 1912. صدر منها 99 عددا، وكانت جريدة أسبوعية عاشت إلى غاية ديسمبر 1914. استقبلت " جريدة الإسلام " بترحاب شديد وأصبحت بسرعة الناطق المؤثر باسم الشبان الجزائريين. كما وجدت ترحيبا وتدعيما من قبل بعض الفرنسيين مثل المنلوب Albin Rozet وقد تزامن ظهورها مع ظهور مشروع ميسيمي للتجنيد الإجباري فمنذ ظهورها أظهرت الجريدة تأييدها للمشروع ، الذي رأى فيه أصحاب الجريدة ومن خلالهم الكثير من الشبان الجزائريين الفرصة للتعبير عن مطالبهم السياسية التي يمكن أن نحصرها في النقاط التالية: إلغاء القوانين الإستثنائية ، الاستفادة من القانون من أجل المساواة بين أخوان السلاح من الأهالي والفرنسيين.---**5–**الإقدام 10 سبتمبر 1920---**6–**جريدة الراشدي : أسسها مجموعة من المثقفين الجزائريين بمدينة جيجل،كان على رأسهم بدري فرحات وفرقاني بوجمعة الملقب بشير، والتاجران بن خلاف عبد الرحمان الملقب أحسن ، حاج عمار محمد الملقب حمو، وكان محمد سقال أحد ابرز محرريها. ظهر العدد الاول منها في 6 يناير 1911. وفي شهر نوفمبر من نفس السنة استلم إدارتها السيد "

لينقو . André Lingois"و "Numa Léal" وفي شهرماي من عام 1912 تولى السيد الحاج عمار إدارتها وبعث فيها نفسا ونشاطا جديدين ،فأخذت نفس توجه جريدة " الإسلام". كانت تصدر كل يوم جمعة في شكل جريدة من أربع صفحات باللغة الفرنسية. ظهرت الراشدي كممثل للإتحاد الفرنسي. الإسلامي ومدافع عن مصالحه. لذلك كتبت أسفل العنوانها، التعريف التالي :" جريدة مستقلة للإتحاد الفرنسوي العربي وحقوق الجيجليين

7-Ihaddaden Zohir .. Histoire de la presse indigène des origines jusqu'a 1930.Enal ; Alger.1983 ،p 314

8-Ihaddaden Zohir.Regard sur l'histoire de l'Algérie.les editions at turath ,alger,2002,p108

9–الإقدام 18 ديسمبر 1919

10-Ihaddaden Zohir . opcit ،p 339.--- **11-**L'Avenir Algérien 29 Avril 1920.--- **12-**L'Avenir Algérien 17 Juin 1920

13–حسب المؤرخ زهير إحدادن فإن الجريدة توقفت لفترة قصير بسبب مصاعب في اقتناء الورق.---**14–**قنانش محمد. محفوظ قداش. نجم الشمال الإفريقي 1926-1937.وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1984، ص 202---**15–**جريدة الإقدام عدد 25 ، 23 مارس 1922---**16–**الحق الوهراني : صدرت بمدينة وهران سنة 1911، وأشرف على إدارتها الفرنسي شارل تاييي Charles Tapié. وتولى تأسيسها مجموعة من المعلمين والأساتذة والقضاة وللموظفين الجزائريين بالإضافة إلى تجار وأصحاب مهن حرة. ألحقت الجريدة بعنوانها " الفتى المصري Le jeune egyptien "" واعتبرت محمد عبده مديرا روحيا لها. حررت أول مرة باللغة الفرنسية وبداية من عددها 31 أضيفت لها صفحتان باللغة العربية. عبرت جريدة الحق التي ساهم في تأسيسها مجموعة من المدرسين الجزائريين عن توجهها الإسلامي فساهمت بشكل واضح في مناقشة القضايا الإسلامية وسعت إلى الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية للجزائريين. بتتبعها للأخبار البلاد العربية وتأييدها لقضايا الأمة

17-Ihaddaden Zohir,opcit,p 340

18–محفوظ قداش . تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919- 1939. ترجمة أحمد بن البار ، دار الأمة ،الجزائر ، 2012، ص 129

19–محفوظ قداش. الأمير خالد.وثائق وشهادات. ديوا المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص 39---**20–**القروش الحمراء : تسمية أطلقها الشبان الجزائريون على القياد الجزائريي، إعتبارا من الزي الذي كانوا يلبسونه في المناسبات والاجتماعات الرسمية وهو البرنوس الأحمر . وممارساتهم التي كانت لا تلقي بالا لأي شخص سوى مصالحهم الشخصية. كالقروش يسلبون ويستولون على كل ما يريدون بكل تعسف وظلم. مقابل تقديم خدماتهم للإدارة الفرنسية من مراقبة الأهالي ، وجمع الضرائب.---**21–**الإقدام. 15 جويلية 1921---**22–**الإقدام . 25 جويلية 1921---**23–**الإقدام 5 جويلية 1921---**24–**الإقدام .18 نوفمبر 1921

25-Claud collot. Le régime juridique de la presse musulmane algérienne. Revue Algérienne des sciences juridiques économiques et politiques. Vol2 , juin1969,p357

26–الإقدام 23-30 أفريل 1920---**27–**الإقدام. 21-28 جوان 1923---**28–**الإقدام 23 مارس 1923. ---**29–**(الإقدام عدد25 ، 23 مارس 1923---**30–**الإقدام .29 فيفري 1925---**31–**الإقدام. 1فيفري 1925---**32–**الإقدام.10 مارس 1934---**33–**قنانش محمد. محفوظ قداش. المرجع السابق ، ص 202

34-Presse et mémoire : France des étranges, France des Liberté .publie par génériques (organisation, Paris, France), Edition de l'Atelier, 1990, p110

35–مالك بن نبي . مذكرات شاهد للقرن. وزارة الثقافة، دار الوعي ، الجزائر، 2013، ص 93

الأمير خالد (1875 –1936)

Abstract: Deals with the subject of newspaper " l'Ikdam" taking the mouthpiece of the movement Khalidiya, a part of the history of the struggle of Prince Khaled, the inimitable and personal struggle, and of the newspaper, which was taking its appearance a quantum leap in terms of style what was done and the Objectives what was set.